Risāla fi wahdāniya al-hāliq wa tatlib aqānim

Elyā Bar-Šinayā

Bairūt, 1899

urn:nbn:de:hbz:5:1-200532

وقال القاضي ابو عبد الله الحسين بن عبد الله بن شبل في كتابهِ في ادب الجدل ما هذا حكايتهُ :

« ألا ترى ان سائر الامم تقيس القدير سبحانهُ على الشاهد في جميع ما يثبتونهُ من وحدانيَّتهِ وصفاتهِ وعدلهِ وقدرتهِ وفعلهِ . فيقولون الدليل على انهُ قادر وجود افعالهِ لان الفعل في الشاهد من احدنا يدلّ على كونهِ قادرًا وكذلك الفعل المحكم من احدنا يدلّ على كونهِ عالمًا ويُستدَلّ بفعل الباريءْ جلّت قدرتهُ المحكم على كونهِ عالمًا فيجمعون بينهما بمعنًى من المعاني وان افترقا من وجوه أُخرى . فلو ان قائلًا قال : لا يقاس الباريءْ على احدنا في الشاهد لانهُ قديم ونحن محدثون ونحن اجسام وهو غير جسم ونحن نعلم ونجهل ونقدر ونعجز وهو لا يجهل ولا يعجز لكان كلامًا فاسدًا وكذلك النصارى يقيسون القديم على الحدث في كونه جوهرًا بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وان كان الجوهر في الشاهد محدثًا حاملًا للعرض واذا كان ذلك كذلك علمنا ان القياس يصحّ من جهة واحدة ومعنى واحد وان افترقا من وجوهٍ أُخر » . فقد دلَّ قول القاضي على ان الذي دلَّ المسلمين على انَّ الله قادر عالم هو الذي دلَّ النصارى على ان الله جوهر اذ كان الجوهر عندهم القائم بنفسهِ فأمَّا عند من يعتقد ان حدّ الجوهر ما حمل العرض فمعاذ الله ان يكون الله جوهرًا ومن قال انَّهُ جوهر على هذا الوجه فقد كفر . وبالجملة اذا اجتمع هل لغة العرب على ان حدّ الجوهر ما حمـــل العرض فقد ثبت بإقرارهم ان ليس في تهم لفظة تصحّ ان يعبَّر بها عن القائم بنفسهِ فاذا كنَّا لا نجد في لغة القوم لفظة نعبّر بها عن القائم بنفسهِ اذ ليس في لغتهم لفظة حدّها القائم بنفسهِ فالأَحوط ان نعبّر عن ذلك باللفظة السريانية المقدّم ذكرها وهي الكيان كما لم نجد في لغتهم لفظة نعبّر بها عن الشيء الذي ليس بكيانٍ عامّ ولا عرض عبَّرنا عنهُ باللفظة السريانية التي هي الاقنوم اذ هي تقع عند السريانيين على كل ما ليس بكيان عامّ ولا عرض . ولذلك نقول ان الباريءْ جلَّت قدرتهُ كيان واحد ثلثة اقانيم والقاضي الجليل ادام الله تأْييده يقف على ذلك ويعرّفني ما عنـ . الله

صُنِفت هذه ا في شهر رمضان سنة عشرين واربعمائة هـ (١٠٢٩م)

ولله الحمد

المنطقيَّة والشرعيَّة عبَّروا عن هذه اللفظة التي هي بالسريانية كيانًا ومعناها القائم بنفسهِ باللفظة التي هي بالعربية جوهر وترى الخلف في زماننا هذا واقعًا في معنى هذه اللفظة لانَّ متكلِّمي المسلمين حرسهم الله تعالى يقولون انَّ حدَّ الجوهر ما حمل العرَض. فان كان معنى الجوهر هو القائم بنفسهِ فلا طعن على من يقول ان الله جوهر اذ كان الله قائمًا بنفسهِ واذا كان معنى الجوهر عندهم ما حمل الاعراض فليس الله جوهر. واذا رجع الى اقاويل المسلمين رحم الله العلماء وحرس المسلمين عُلم انهُ لا طعن على من يقول ان الله جوهر اذ كان قصدهُ في قوله جوهر القائم بنفسهِ. ومنهم الشيخ العالم ابو جعفر احمد بن الاشعث فانهُ يقول في الباب الثاني عشر من المقالة الاولى من كتابهِ في العلم الالهيّ ما هذا حكايتهُ: « قد بُيِّن ان المحرِّك الاوَّل اوَّل على الاطلاق فهو اذن علَّة الموجودات كلّها وما كان كذلك فلا يخلو من ان يكون امَّا جوهرًا وامَّا عرضًا. ومن المحال ان يكون عرضًا لان الجوهر علَّة وجود العرض والله علَّة وجود كل شيء. ولولا الجوهر لم يوجد العرض قائمًا بذاتهِ فليس الامر في ذلك بالعكس فبقي ان يكون جوهرًا او شيئًا اشرف من الجوهر او جوهرًا يخصُّهُ او كيانًا او عينًا كيف شئت تقول بعد ان يكون المعنى محفوظًا ». فهذا القول من هذا العالم يجيز القول بان الله جوهر بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وهو المعنى الذي تذهب اليهِ النصارى في قولهم ان الله جوهر

وقال القاضي الجليل ابو بكر محمَّد ابن الطيب في كتاب الطمس على الاصول الخمس ما هذا حكايتهُ:

« اعلم ان النصارى اذا حقَّقنا معهم الكلام في قولهم ان الله جوهر واحد ذو ثلثة اقانيم لم يحصل بيننا وبينهم خلاف الَّا في الاسم لانهم يقولون انهُ جوهر لا كالجواهر المخلوقة بمعنى انهُ قائم بنفسهِ والمعنى صحيح والعبارة فاسدة لان الاسماء يُرجَعُ فيها الى اهل اللسان ولم يطلق عليهِ احد منهم جوهرًا وانَّما الكلام معهم في تثبيت النبوة كاليهود » فقد دلَّ هذا القول من هذا القاضي على انهُ لا طعن على النصارى في قولهم ان الله جوهر بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وانهُ لا خلف بينهم وبين المسلمين حرسهم الله الَّا في نبوة محمَّد بن عبد الله رحمة الله عليهِ

والكلام والسمع والبصر فان كانوا مع اثباتهم لله ذلك بريئين من الشرك فنحن ايضاً مع اثباتنا لله الحياة والحكمة بريئون من الشرك

فان قال قائل لمّا كان الباري جلّت قدرته حكيماً حيّاً خالقاً جوّاداً رازقاً رحيماً حليماً سميعاً بصيراً وغير ذلك من الاوصاف فلِمَ اقتصرتم على ان اثبتّم لهُ منها الحكمة والحياة فجعلتم الحكمة والحيــاة اقنومين وحذفتم ذكر الرحمة والجود وغير ذلك من الصفات التي كان يلزمكم على اصولكم ان تجعلوها اقانيم كما جعلتم الحكمة والحياة.
(قلنا) ان اسماء الباري تعالى على ضربين ذاتيّة وفعليّة فالاسماء الذاتيّة هي ان تخصّ كيانهُ وذاتهُ مثل قولنا القائم بنفسهِ الحكيم الحيّ. والاسماء الفعليّــة هي مشتقّة من مثل قولنــا الخالق الجوّاد الرازق الرحيم الحليم السميع البصير وما شاكل ذلك من الاسماء. فقولنا انّ الباري تعالى حكيمٌ حيٌّ مثل قولنــا قائم بنفسهِ. وانّما إثباتُنا لهُ الحكمة والحياة مثل اثباتنا لهُ الذات لان حكمته وحياته ليستا بقوّتين مركّبتين مثل حكمة المخلوقين وحيــاتهم لكنهما ذاتيّتان كيانيّتان غير متجزّئتين من الذات وغير متبعّضتين من الكيان. وقولنا انّ لهُ خلقاً وجوداً وارادةً ورحمةً وغير ذلك من الصفات فهي صفات فعليّة تتعلّق بافعالهِ وذلك ان الخالق مشتقٌّ من خلق يخلق. والجوّاد من جاد يجود. والرازق من رزق يرزق. والرحيم من رحم يرحم. والحليم من حلم يحلم. والسميع من سمع يسمع. والبصير من بصر يبصر. فجميع هذه الاسماء وما شاكلها هي مشتقّة من الافعال وهي تتعلق بالخالق والمخلوقين. وذلك ان قولنا «جوّاد» يتعلّق بهِ والذين يجاد عليهم. وقولنا «خالق» يتعلق بهِ وبالمخلوقين. وقولنا «رازق» يتعلق بهِ وبالرزق وبالمرزوقين. وقولنا «مريد» يتعلق بهِ وبالمراد. وقولنــا «رحيم» يتعلق بهِ وبالمرحومين. وعلى هذا المثال تجري الامور في جميع الاسماء الخارجة عن الذات والحكمة والحياة. فلمّا كانت الذات والحكمة والحياة خواصّ ذاتيّــة وكانت الارادة والجود والرحمة وما شاكلها صفات فعليّة سُمِيت الذات والحكمة والحيــاة خواصّ واقانيم وسُمِيت الارادة والجود والرحمة وما شاكلها صفات

فان قيل ان قولكم بان الله جوهر يؤدي الى القول بان الاعراض تدخل عليهِ تعالى لانّ حدّ الجوهر ما يحمل العرض. (قلنا) ان الذي نعتقدهُ في الباري تعالى هو انهُ قائم بنفسهِ ونحن نسمّي القائم بنفسهِ بالسريانيّة كيانًا ولمّا فسّر المقدّمون من علمائنا الكتب

والسريانيون يسمُّون كل موجود هو قائم بنفسهِ بالسريانيَّة كياناً (١ قديماً كان ذلك الموجود او محدثاً اذ كان حدُّ الكيان عندهم هو القائم بنفسهِ. ولمَّا كان البارئ جلَّت قدرته حيًّا حكيماً وكان لا حيًّا الَّا بحياة ولا حكيماً الَّا بحكمة ثبت ان البارئ تعالى كيان واحد من حيث هو قائم بنفسهِ حيٌّ بحياتهِ حكيم بحكمتهِ

ولما كانت ذاتهُ غير قابلة للاعراض بطل ان تكون حياتهُ وحكمتهُ عرضَيْن وكل ما ليس بعرَض فهو امَّا كيان وامَّا اقنوم. ولمَّا بطل ان تكون ذات البارئ تعالى وحياتهُ وحكمتهُ ثلثة اكيان او ثلثة اعراض ثبت انَّها ثلثة اقانيم

ونقول ان الله هو كيان واحد ثلثة اقانيم. فقولنا «كيان واحد» عبارة عن القائم بنفسهِ وقولنا «ثلثة اقانيم» عبارة عن الذات والحياة والحكمة فلا فرق بين قولنا «كيان واحد ثلثة اقانيم» وبين قولنا «قائم بنفسهِ ذو حياة وحكمة». فان قال بعض المسلمين رحمهم الله انكم اذا اثبتُّم للبارئ تعالى حياة وحكمة فقد اثبتم معهُ قديمَيْن آخرين وهذا ضدّ التوحيد. (قلنا) قد اجمعنا نحن وانتم على انَّ البارئ تعالى حكيم حيّ ونعلم من حكم اللُّغة والقوانين المنطقيَّة ان الاسماء المشتقَّة هي مأخوذة من معانٍ موجودة بها للمسمَّيات بالاسماء المشتقَّة والحكيم مشتقٌّ من الحكمة والحيُّ مشتقٌّ من الحياة واذا كان الامر على هذا وكان البارئ حيًّا حكيماً وجب ان يثبت لهُ حياة وحكمة. فان قيل ان هذا يلزم في سائر الاسماء الَّا في اسماء البارئ وان ليس الاسماء المشتقة لهُ بمعانٍ موجودة فيهِ كالاسماء المشتقة للمخلوقين لمعارفهم. (قلنا) ان هذا الاستثناء في موضع خلاف وهو دعوى بلا دليل وهذا ما لا يجوز في النظر لان من شرط النظر ان لا تجعل الدعوى دليلًا وانتم انَّما هوذا تدَّعون في هذا الموضع خلاف ما يوجبهُ القياس وقوانين المنطق واصول اللغة لانَّ القياس وقوانين المنطق واصول اللغة توجب ان لا يكون حكيم الَّا بحكمة ولا حيّ الَّا بحياة كما لا نحوي الَّا بنحو ولا مهندس الَّا بهندسة ولو لزمنا الشركُ لاجل اثباتنا لله حياة وحكمة لكان اكثر المسلمين رحمهم الله احقّ منَّا بالشِرك لانهم يثبتون انَّ لله العلم والحياة والقدرة والارادة

---

١) يريد بالكيان (ܟܝܢܐ) جوهر الذات الالهيَّة وطبيعتها الروحانيَّة البسيطة مع قطع النظر عن صفاتهِ تعالى عزَّ وجلَّ

الى التكلُّم عن شرف وعظمة الكهنوت. ١١ رسالة ايليا مطران نصيبين التي ننشرها هنا. ١٢ مقالة لهُ ايضاً في نعيم الآخرة. ١٣ مقالة في الزنا. ١٤ مقالة لساويروس بن المقفع. ١٥ كتاب آداب الكنيسة ممَّا شرحهُ ابو اسحق ابن ابي الفضل ابن العسال. ١٦ شذرات من كتاب الشفاء لابن سيناء ثمَّ ادعية

ولمَّا كان كتاب درياق العقول اوسع تآليف هذا المجموع قد وسمهُ الجامع باسمهِ في النسخة الاكسفورديَّة التي تاريخها سنة ١٥٩٦. وعندنا انَّ هذا التاريخ لا يصحّ الَّا على قسمٍ منهُ لانَّ في المجموع خطوطاً مختلفة منها ما هو اقدم من هذا العهد. وكذلك ورق الكتاب ترى بعضهُ شبيهاً بورق المخطوطات التي سبقت القرن السادس عشر والله اعلم

امَّا مقالة ايليا النصيبيني فهي كدرَّة من دُرر الآداب النصرانيَّة كما سترى:

رسالة في وحدانيَّة الخالق وتثليث أقانيمهِ

عُني بنشرها الاب لويس معلوف اليسوعيّ

سأل القاضي الجليل ادام الله توفيقهُ ان اذكر لهُ اعتقاد النصارى في الباري تعالى وما معنى قولهم انَّهُ جوهر واحد ثلثة اقانيم وانا ذاكر ذلك حسب ما رُسم واقول:

نحن معشر النصارى نعتقد أيد الله القاضي انَّ الباري جلَّت قدرتهُ واحد لا اله الَّا هو وانهُ كيان واحد ثلثة اقانيم. فان قال قائل من الموحّدين: ما حملكم ان تقولوا انهُ كيان ثلثة اقانيم وما معنى ذلك؟

قلنا قد اتَّفقنا وانتم على ان الباري تعالى واحد وليس يخلو هذا الواحد ان يكون قائماً بنفسهِ او موجوداً في غيرهِ مثل الاعراض. ومن المحال ان يكون موجوداً في غيرهِ فهو اذن قائم بنفسهِ. وليس يخلو هذا القائم بنفسهِ ان يكون حيًّا او غير حيّ ومن المحال ان يكون خالقُ الحياة غير حيّ فهو اذن حيّ. وليس يخلو هذا القائم بنفسهِ الحيّ ان يكون حكيماً او غير حكيم ومن المحال ان يكون خالق الحكمةِ غيرَ حكيم فهو اذن حكيم. فقد ثبت ان الباري جلَّت قدرتهُ قائم بنفسهِ حيّ حكيم

رسالة

في وحدانيَّة الخالق وتثليث اقانيمهِ

تأليف ايليَّا مطران نصيبين

توطئة

انَّهُ لمن المقرَّر لدى العلماء العارفين بالآداب النصرانيَّـة ان صاحب كتاب دفع الهمّ ايليَّا النّصيبيني قد ترك للسَّلف فيما تركهُ من التآليف الشائقة مقالةً في وحدانيَّـة الخالق وتثليث أقانيمهِ. وكنَّا مع مَن هام بآثار العرب ووقف لاحيائهـا جُلَّ اتعابهِ نتأسَّف على انَّ يد الدهر اغتالت تلك الدرَّة الثمينة (راجع المشرق ٥ : ٢٤٠)

بيد ان الله يسَّرنا الى الاكتشاف عنها فيما دُفن من الدفائن في مكتبة اكسفورد الشهيرة بل قُل فيما حُفظ كأثمن اللآلي في ذلك المتحف البُدْلاني الكريم. وجدتُها ضمن مجموع لم اعهد لهُ شيئاً في المكاتب الاوربيَّة وقد وصفهُ بعض الوصف صاحب فهرست تلك المكتبة في المجلَّد الاوَّل منهُ تحت عدد ٣٨ (Hunter. 240). وهذا المجموع يحتوي على عدَّة تآليف او مقالات يبلغ عدد صفحاتها ٢٦٠ صفحة. امَّا مضامين هذه المصنَّفات فهي كما ترى: ١ً في اوَّل الكتاب تقويم السنة القبطيَّة. ٢ً شرح الامانة. ٣ً كتاب درياق العقول في علم الاصول للقسّ رشيد ابي الخير ألَّفهُ سنة ١٠٧٢ م على ما ورد في الفهرست الباريسيّ. ومنهُ نسخ معهودة في مكاتب شتَّى. وفي خزانة كتبنا الشرقية منهُ نسخة منقولة عن دير القديس يوحنَّا الصابغ في الشوير. ٤ً المقالة الاولى لبولس البوشيّ اسقف مصر في معرفة الاله المتجسّد من القياس العقليّ. ٥ً المقالة الثانيـة لابي الفرج عبد الله بن ابي الطيّب في التثليث والتوحيد. ٦ً مقالة ليحيى النحويّ في الدلالة على حدث العالم. ٧ً مقالة لحنين بن اسحاق في حقيقة الاديان وكيفيَّة ادراكها. ٨ً كلام للآباء الفضلاء في اصناف سياسة البارئ. ٩ً ذكر اجتماع مطارنة الطوائف عند بعض [illegible] المشرق ١٠ً مقالة ايليَّا الأشلّ مطران حمص. يذكر فيها اسباب تنازلهِ عن الاسقفيَّة [illegible] ذلك

رِسَالَةٌ

في

وحدانيّة الخالق وتثليث اقانيمهِ

تأليف

ايليّا مطران نصيبين

عُني بنشرها الاب لويس معلوف اليسوعي

نقلًا عن نسخة اكسفورد

